

الصيام البشار لمنكى

في نحر مدعي القول

بأننا نعيقتن في العهد المكي

تأليف
فضيلة الشيخ
إبي عبد الله محمد بن عبد الحميد بن محمد
رحمه الله تعالى ورضع قارو



hasona.net

سيرة الإمام

حقوق الطباعة محفوظة

مصدر هذا الكتاب هو الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ المؤلف رَحِمَهُ اللهُ
يسمح بنشره والانتفاع به، ولا يسمح بطباعته إلا بعد التواصل مع ورثة الشيخ



hasona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من: أبي عبد الله محمد بن عبد الحميد..... كان الله تعالى له.
إلى: أخيه..... عمم الله به النفع.

سلام عليكم، وبعد:

تقدم معنا أن بيّنا لكم - وأنتم أهل فضل - أن من مسائل التكفيريين التي أحيوها في هذه الأزمان، بدعة القول بأننا نعيش في العهد المكي، ومقتضى هذا القول: تكفير الخلق، وهذا قول كُبار، صادر من أنوك يافوف مأفوك يريد الإفساد، وجرّ الأمة من جديد إلى مهاوي الفتن وأودية الردى.

والغريب العجيب أن العهد بمثل هذه الدعاوى قريب، وأثره له في نفوسنا وقع أليم مرير، وأصحابه صرخوا من السجون صرخات ندم مصحوبة بأنين مقرة بأنها كانت بمنأى عن الصراط المبين، ترجوا عفواً تنعم معه بحياة المسلمين، ولكن لا مجيب.

فأقول: بادئ ذي بدء نقرر أن علماء الأصول - علوم القرآن وأصول التفسير - لما تكلموا في العهدين المكي والمدني، ذكروهما كمرحلتين للتشريع؛ لتمييز الناسخ من المنسوخ، ومعرفة أساليب الدعوة إلى الله عز وجل، وبيان أن لكل مقام مقال، ومراعاة مقتضى الحال، ومعرفة تدرج الأحكام...

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلا - زاده الله تعالى توفيقاً - بعد أن أشار إلى بعض ما تقدم في كتابه «الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة» ص (٥١٦): «ولكن

ليس من فائدة العلم بالمكي والمدني، ترتيب أحكام التدرج والمرحلية على الناس، فلا يقال أننا نعيش عهدًا شبيهًا بالعهد المكي عهد الاستضعاف، وعليه فيجب أن نأخذ بأحكام العهد المكي - أي مرحلة الضعف وعدم التمكّن وغلبة الكفار -.

وذلك لعدة أمور:

١ - أن استنباط الأحكام الشرعية يتم من أدلتها وفق قواعد أصولية بينها العلماء في كتب أصول الفقه، وليس من أدلة التشريع، ولا من قواعد الاستنباط النظر في الزمان ومقارنته بأي من العهدين المكي والمدني، ثم القياس على النضير.

٢ - أن العهد المكي كان الضلال يعمّ الأرض فيه، مع استضعاف جميع المسلمين، وعدم تمكّنهم من إعلان دينهم. وأما عهود الاستضعاف التي تمر بها الدعوات التجديدية، فإنها عهود محددة الزمان والمكان، فلا يمكن أن تعيش البشرية كلها في ضلال سابق الوعد بأنه لا تزال طائفة من أمة محمد - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - على الحق منصورّة.

٣ - أن العهد النبوي مكّيّ ومدنيّ عهد تشريع ولم يكتمل الدين فيه بعد... وأما بعد ذلك فقد كمل الدين، ولم يعد هناك مجال للتشريع.

ومع ذلك فإن الظروف الاستثنائية التي تمر بها الدعوات أو يمر بها عموم المسلمين في عهد من العهود ليست تخلو من الأحكام الملازمة لها، بل لها أحكام تدخل تحت أبواب الرخص، أو يكون الحكم داخلًا تحت الاستثناء من الأصل لفقدان شرط أو لوجود مانع.

ولعل في المثال الآتي ما يوضح هذا: الجهاد من أوجب واجبات الإسلام، فهو

ذروة سنامه، ولكن نظرًا لضعف المسلمين، وعدم تمكنهم في العهد المكي لم يشرع الجهاد إلا في العهد المدني، وأمر الرسول -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وصحابته بكف الأيدي وعدم رد العدوان، وقد تمر بالمسلمين حالات ضعف وعدم قدرة على الجهاد في زمن من الأزمان أو بلد من البلدان، كأن يكون المسلمون أعدادًا يسيرة في مقابل الكفار ولا سلطان لهم فيعذرون بترك الجهاد مؤقتًا، ويؤمرون بالاستعداد وأخذ الأهبة حتى تتحقق لهم القدرة.

ومأخذ الحكم هنا، هو قول الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ونحوها من الآيات المقررة لعدم التكليف بما لا يطاق، لا أن مأخذ الحكم كون العهد شبيهًا بالعهد المكي. إذ لو أخذ بهذه المرحلة، وجعلت أصلًا من أصول الأحكام لأدى ذلك إلى فساد عريض، لا يقول به إلا مارق من الدين.

ويتبين هذا الفساد من جانبين:

الأول: تضييع فرائض من الدين، يعد تركها كفرًا بالله -عز وجل- فالصلاة لم تفرض إلا في أواخر العهد المكي والصيام لم يفرض إلا في السنة الثانية للهجرة، والحج والزكاة وغيرها من فرائض الدين لم تنزل إلا في العهد المدني. فلو أخذ بهذه المرحلة وجعلت أصلًا من أصول الأحكام؛ لكان من أول مقتضيات تضييع هذه الفرائض والقول بعدم وجوبها.

ثانياً: ارتكاب كثير من المحرمات البين حرماتها، واستحلالها بهذه المرحلة مما يعد خطرًا كبيرًا على الدين، فإن الخمر مثلاً لم تحرم التحريم القاطع إلا في المدينة ولو قيل هذه المرحلة لكانت الخمر حلالاً.

وفي الجملة: فإنه لا يصح أن تجعل هذه المرحلة طريقاً وأصلاً من أصول الأحكام، لأن أصول الأحكام ليست نتاج رأي بشري، بل كل أصل منها مقرر بكثير من الدلائل، والمراجع لما كتبه العلماء في أصول الفقه يجد هذا به.

ولقد أخذ بعض المعاصرين بمبدأ مرحلة الأحكام، وقالوا: من العقيدة أن يؤخذ الدين على صورته التي نزلت على النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- فنأخذ الأحكام على مراحل كما كان متبعاً في أول الإسلام، وهو البدء بما نزل في مكة بالنسبة لعهد الاستضعاف الذي نعيش فيه حالياً، فإذا تمكنت الجماعة من الوصول إلى السلطة^(١) وحكمت بالإسلام أخذت بما نزل في المدينة في عهد التمكين، أما العصر

(١) قال محمد حسان أحد دعاة المنهج القطبي: «فواجب على كل مسلم ألا يدعن لهذه القوانين الوضعية الكافرة، ويجب عليه أن ينكرها ويجاهدها على قدر استطاعته. نعم.. يجب عليه أن ينكر هذا المنكر الأكبر، وأن يتبرأ إلى الله منه، وأن يشهد الله وهو العليم الخبير أنه مكره ولا طاقة له سوى ما يبذل وما يقدم وأنه لا يقرب هذا الكفر والظلم والفسق.

وأود أن أبشر من تتقطع قلوبهم كمدًا وغيظًا وهم لا يملكون من الأمر شيئاً بأن هناك بارقة أمل في هذا الليل الدامس وفي هذه الظلمات الحالكة، فها هي كتائب الصحوة الإسلامية المباركة تتوالى وتنمو وها هو الشباب المسلم والفتيات المسلمات، وها هي قلوب عامة المسلمين تنكر وترفض كل ما يقول به الزعماء والقادة المصطنعون، من عمليات الهدم والتخريب والتغريب والتدمير والتحطيم!! في الوقت الذي تنتكس فيه رايات الإباحية والإلحاد. وهذا وعد الله، ووعد الله حق وصدق ﴿يُرِيدُونَ لِيُظْفِقُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...﴾ الآية

وأنا ألقى بالمسؤولية على كل مسلم ومسلمة وأحملة الأمانة في أن يتحرك من الآن لدين الله وألا يتكاسل، وألا يقلل من شأن حركته وجهده لدين الله عز وجل، وألا يظن أن الدين مسؤولية الدعاة والعلماء وحدهم، بل أنت جندي لدين الله وأنت أيتها المسلمة أمينة على دين الله عز وجل، فها حان وقت العمل، هيا نتكاتف جميعاً ونتفق جميعاً، على تغيير هذا

الذي نعيش فيه فهو عصر استضعاف.

ومبنى هذا القول: على تكفير المجتمع، إذ أنهم لما قالوا بتكفيره جوبهوا بإشكالية التعامل مع المجتمع وكيف يكون، فاستندوا إلى هذه المرحلة وجعلوها المفزع من المأزق الذي وقعوا فيه.

ولذلك فإن مما قالوه بناء على هذه المرحلة ما يلي:

- ١- جواز الزواج بالكافرات (بزعمهم).
- ٢- جواز الأكل من ذبائح الكافرين (بزعمهم).
- ٣- عدم وجوب صلاة الجمعة والعيدين (٢).
- ٤- كف الأيدي وإيقاف الجهاد.

المنكر الضخم، وأن نحاول بصدق أن نرد المسلمين إلى الإسلام بعد العيبة التي هم عليها منذ زمن طويل بعيد، هيا يا أحفاد أبناء دار الأرقم تحركوا الدين الله عز وجل، وتحملوا الأمانة وارفعوا الراية» انظر كتابه «حقيقة التوحيد» طبعة دار نور الإسلام - المنصورة - الطبعة الأولى سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) قال سيدهم قطب أقنوم التكفير في العصر الحديث عند تفسير قوله تعالى ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ بعد أن قرر دخول مسلمي العصر في إطار المجتمع الجاهلي: «وهنا يرشدنا إلى اعتزال معابد الجاهلية -مساجد المسلمين- واتخاذ بيوت العصابة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي» «الظلال» (٣/١٨١٦) دار الشروق.

وقال أيضاً: «إنه لا نجاة للعصابة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها، حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن نشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية، وأهل جاهلية» «الظلال» (٤/٢١٢٢).

والرد على هذه الآراء من جهتين:

- ١- أن المجتمع المكي كان مجتمعاً جاهلياً كافراً، أما المجتمعات التي طبقوا عليها أحكام المرحلة فهي مجتمعات مسلمة غير كافرة.
- ٢- أن الاستضعاف الموجود في العهد المكي مانع من أداء الطاعات والعبادات الفردية، حتى كان مجرد الجهر بالقرآن كان صعباً ومؤدياً إلى الإيذاء، وهذا غير موجود في العهد الذي طبقوا عليه أحكام المرحلة «الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة» للشيخ عبد الرحمن بن معلا اللويحق ص (٥١٦-٥١٩).



وبعد.. أخي السلفي:

احذر من قول كل تكفيري جاهل يتكلم في مثل هذه المسائل - أعني: مسألتي هل ديار المسلمين ديار حرب أو ديار إسلام، أو أن الدعوة اليوم هي دعوة العهد المكي - وقد تقدم بطلان اعتقاد أصحابها، ووقفت من خلال ما ذكر عليّ خطورة تبنّيها والقول بها.

ولك أن تتصور أثر هذا الاعتقاد على الدين والنفس والعرض والمال، فالله تعالى المسؤول أن يمن علينا بالاستقامة في الدين، ويقينا شر البدع والمبتدعين، وأن يوفق ولاية أمور المسلمين إلى ما فيه الخير، وأن ينعم عليّ بلاد المسلمين بالإيمان الذي منه ينبثق الأمن.. آمين.

وصلّ اللهم وسلم وبارك عليّ نبينا محمد وعليّ آلّه وصحبه أجمعين،
والحمد لله رب العالمين.

كتبه

الراجي عفوره

أبو عبد الله

محمد بن عبد الحميد بن محمد حسونة

في: ٢١ / ٥ / ١٤٢٤ هـ الموافق: ٢١ / ٧ / ٢٠٠٣ م